

جامعة الأزهر

كلية أصول الدين — القاهرة

قسم العقيدة والفلسفة

## نظرات نقدية

في

## تقسيم التوحيد عند مدرسة ابن تيمية

الدكتور

رجب محمود خضر

مدرس العقيدة والفلسفة بالكلية

في لقاء - رابعا

فلسفة

فلسفة

فلسفة

فلسفة

فلسفة

فلسفة

فلسفة

فلسفة

فلسفة

فلسفة

فلسفة

فلسفة

فلسفة

فلسفة

فلسفة

فلسفة

فلسفة

فلسفة

فلسفة

فلسفة

فلسفة

فلسفة

فلسفة

فلسفة

فلسفة

## تقديم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ...

## وبعد

فإن علم ( العقيدة ) أهم ما يُعنى به المسلم في حياته ، ومنذ التحاقه بالأزهر الشريف ، وأنا أدرس هذا العلم - عبر مراحل الدراسة المختلفة - تحت اسم " علم التوحيد " ونقرأ في الكتب المقررة ، ونسمع من شيوخنا الكرام أنه سمي بـ ( التوحيد ) لأن مسألة " توحيد الله " أهم مباحثه على الإطلاق .

وقد اتفقت تلك الكتب ، واجتمعت كلمة هؤلاء الشيوخ على أن صفة " الوحدانية " خامسة خمسة : تسلب عن الله ﷻ كل نقص لا يليق به ﷻ أعني ( القدم والبقاء والقيام بالنفس والمخالفة للحوادث ) إذ أنها تسلب عن الله التعدد في الذات والصفات والأفعال ...

ولكن ما كاد المرء يفرغ من المرحلة الجامعية ، وابتدأ يقرأ في الكتب الخارجية ، حتى وقعت عيناه على ما في الكتب السلفية لما يعرف بأنواع التوحيد الثلاثية التي هي : ( توحيد الأسماء والصفات ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الربوبية ) .

فوقفت عندها أفكر ملياً ، ما هذه الثلاثية ؟ هل هي حقيقة ؟ ولم لم ندرسها في معاهدنا وجامعاتنا الأزهرية ؟

وبلغ بي العجب مدى ، لخلو الكتب التي درستناها ، والدروس التي سمعناها ، من الحديث عن هذه الثلاثية ولو بالإشارة السلية .

ولكن لما كنت في وقت الطلب ، والظروف غير مواتية ، لبحث مثل هذه الأمور العقيدية ، آثرت الصمت حتى قُيَا لي الفرصة من خالقي البرية .

وبعد عقد من الزمن أو يزيد قليلاً قدر لي أن أقوم بتدريس مادة " العقيدة " في معاهد الجمعية الشرعية فوجدت نفس الأسئلة تلاحقني من جديد حول تلكم الثلاثية من دارسي الجمعية ، فعقدت العزم علي تقييم هذه الثلاثية ، والإجابة عن الأسئلة المحكية .

فبدأت هذه الدراسة في مقدمة ومبحثين وخاتمة

أما المقدمة : فأشرت فيها إلى مدى الحاجة إلى دراسة هذا الموضوع ومحتوياته .

وأما المبحث الأول : فأعرض فيه آراء رجال المدرسة السلفية في هذا الموضوع وأهم ما استندوا إليه في ذلك .



**وأما المبحث الثاني :** فناقش فيه تلکم الآراء مناقشة علمية هادئة .  
**وأما الخاتمة :** فأذكر فيها أهم نتائج الدراسة .

هذا وقد سلكت في كل هذا مسلك الإيجاز ، إلا فيما دعت الحاجة إليه من التطويل ، وقد عرضت آراء المدرسة السلفية في هذا الموضوع بأمانة شديدة من شتى مصادرهم المعترف بها فيما بينهم .

ولو أني اقتصرت على ما ذكره مؤسس المدرسة ( الشيخ ابن تيمية ) لكفي ، لكنني أردت أن ألفت نظر القارئ الكريم إلى أن هذا الأمر كالمتفق عليه بينهم ، إن لم يكن متفقاً عليه بالفعل .

ثم قمت بمناقشة هذه الآراء مناقشة علمية هادئة بعيدة عن التعصب المذهبية ، والمماحكات اللفظية ، والمعارك الجدلية البيزنطية .

فالله أسأل أن يوفقني لإتمامه بفضله وإنعامه ، وأن يريني الحق حقاً ويرزقني اتباعه ، والباطل باطلاً ويرزقني اجتنابه .

كتبه راجي عفو ربه

د . رجب محمود خضر  
مدرس العقيدة والفلسفة

## المبحث الأول

### تقسيم التوحيد عند مدرسة ابن تيمية

١ - يرى شيخ الإسلام ابن تيمية وأتباعه <sup>(١)</sup> أن التوحيد ثلاثة أقسام :-

(١) توحيد الربوبية .

(٢) توحيد الألوهية .

(٣) توحيد الأسماء والصفات .

٢ - ومعنى توحيد الربوبية : أن الله وحده خالق كل شيء ، وأنه رب العالمين المتصرف في أمورهم .

والمراد بتوحيد الألوهية : إفراد الله ﷻ بجميع أنواع العبادة .

والمقصود بتوحيد الصفات : أن الله ﷻ يجب أن يثبت له جميع الصفات التي أثبتتها لنفسه في كتابه ، أو أثبتها له رسول الله ﷺ في سنته <sup>(٢)</sup> .

<sup>(١)</sup> انظر شرح العقيدة الأصفهانية ص ٢٣ ، دار الكتب الإسلامية ، ونقض المنطق وكلام ابن تيمية ، ص ٢٥٦ . ت . محمد حامد القلي وآخرين ، ط ١ أنصار السنة ، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفى ١ / ٧ ت د عبد الرحمن عميرة ، الناشر مكتبة المعارف بالرياض ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م . وتظهر الإطلاقات

أدريان الإخاد ، للأمير الصناعى ، ص ١٣ ، ت . موفى فوزي الجبر ، ط دار الحكمة . ط ١ دمشق ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م ، وعقيدة المؤمن ، ت بكر الجزائرى ، ص ٥٣ ط دار السلام .

<sup>(٢)</sup> انظر نفس المصادر السابقة .

٤ - ومن ثم يغضون الطرف عن (توحيد الربوبية) بدعوى أنه مركوز في الفطرة الإنسانية ، وأن نقيضه معلوم الامتناع لدي جميع البشرية .

يقول الإمام ابن تيمية : " والمشركون كانوا يقرون بأن رب العالمين واحد ، لكن كانوا يعبدون معه غيره " <sup>(٤)</sup> . ويقول : " ..... وأما الربوبية فكانوا مقرين بها .... وما اعتقد أحد منهم قط أن الأصنام هي التي تزول الغيث وترزق العالم وتدبره .... " <sup>(٥)</sup> .

ويقول ابن أبي العز : " ولم يكونوا ( أي مشركوا العرب ) يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم ، بل كان حاشم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم .... يعتقدون أن هذه تماثيل قوم صالحين من الأنبياء والصالحين ، ويتخذونهم شفعاء ، ويتوسلون بهم إلى الله وهذا كان أصل شرك العرب " <sup>(٦)</sup> .

٣ - ويركز ابن تيمية ومدرسته على توحيد الألوهية ، ويرونه متضمناً لتوحيد الربوبية ، زاعمين أن الرسل - عليهم السلام - لم يعشوا إلا لتوحيد الألوهية .

وفي هذا يقول ابن تيمية : " إن التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ وأنزل به كتابه هو عبادة الله وحده لا شريك له ، وهو توحيد ألوهيته المتضمن توحيد ربوبيته " <sup>(١)</sup> .

ويقول الأمير الصناعى ( ت ١١٨٢ هـ ) : " أعلم أن الله ﷻ بعث الأنبياء - عليهم السلام - من أولهم إلى آخرهم : يدعون العباد إلى إفراد الله ﷻ بالعبادة لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه ، إذ هم مقررون بذلك " <sup>(٢)</sup> .

ويستدلون على ذلك ببعض الآيات القرآنية من نحو قوله ﷻ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

<sup>(١)</sup> شرح العقيدة الأصفهانية ص ٢٣ ، ويقول ابن تيمية في ( درء تعارض العقل والنقل ٣٩١ / ٧٠ ) " لإثبات التوحيد في النوع الثاني ( الشرك في الألوهية ) يتضمن الأول ( الربوبية ) من غير عكس " .

<sup>(٢)</sup> تطهير الاعتقاد من أدريان الإخاد ص ١٨ .

<sup>(٣)</sup> سورة (الأنبياء ٢٥) .

<sup>(٤)</sup> شرح الأصفهانية ص ٢٣ وانظر درء تعارض ٧ / ٣٩١ .

<sup>(٥)</sup> مجموع الفتاوى ، المجلد الأول (توحيد الألوهية) ص ٩١ - ٩٢ .. جمع وترتيب ابن قاسم النجدي ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ .

<sup>(٦)</sup> شرح الطحاوية ص ١٢ - ١٣ .



فالمشركون من العرب وغيرهم من الأمم بنظر ابن أبي العز " كانوا مقرين بالصانع وأنه ليس للعالم صانعان ، ولكن اغلوا هؤلاء شفعاء .... (١) .  
ويؤكد الصنعاني على هذا ، بل ويتخطاه فيرفع إهمال القضية ويجعلها كلية فيقول : " إن جميع الأمم لم ترسل إليهم الرسل إلا لطلب توحيد العبادة ، لا للتعريف بأن الله هو الخالق للعالم ، وأنه رب السموات والأرض ، فإنهم مقرون بهذا " (٢) .

ويعود الصنعاني فيؤكد هذا التعميم مرة أخرى بقوله : " كل مشرك مقر بأن الله خالقه ، وخالق السموات والأرض ، ورحم ورب ما فيها ، ورازقهم " (٣) .  
ويستدل أصحاب هذا الاتجاه على دعواهم هذه بكثير من آيات القرآن الكريم التي تحكي اعتراف المشركين بأن

(١) نفس المصدر ص ١٤ .

(٢) تطهير الاعتقاد ص ٩ وقد استند الصنعاني في تعميمه هذا إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ (النحل ٣٦) زاعماً أن قوله ﴿ فِي كُلِّ أُمَّةٍ ﴾ يفيد هذا العموم .

(٣) تطهير الاعتقاد ص ١٦ . وانظر كتابي التوحيد وكشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب وكلامهما يندندن حول هذا المعنى

الخالق والرازق والمدير هو الله ﷻ وأنهم إنما اتخذوهم شفعاء فقط .

مثل قوله ﷻ : ﴿ وَإِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) .

وقوله : ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٥) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿ قُلْ مَنْ يَدْعُو مِنْ دُونِهِ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ يَدْعُو لِمَلَكُوتٍ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُدْعَى ﴾ (٧) وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُشْحَرُونَ ﴾ (٨) .

وقوله : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (٩)

(٤) سورة (لقمان ٢٥) .

(٥) سورة (المؤمنون ٨٤ - ٨٩) .

(٦) سورة (الزمر ٣) .

٦ - وتشنع هذه المدرسة على المتكلمين زاعمين أنهم لم يعرفوا توحيد الألوهية الذي جاءت به الرسل ، ونزلت به الكتب " لاعتقادهم أن توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الألوهية الذي بينه القرآن ، ودعت إليه الرسل - عليهم السلام - وليس الأمر كذلك... " (٥) .

يقول ابن تيمية : " وقد غلط طائفة من أهل الكلام فظنوا أن الإله بمعنى

زهران ) حيث ينقل ابن تيمية عن الشهرستاني ويؤيده في هذا ، غير أن الشهرستاني يقرر أن الشياطين قد بعد الإنسان عن هذه الفطرة ومن ثم يحتاج إلى التهيئ لذكوره ، مستدلاً بمحدث : " خلق الله الخلق على معرفته فاحتاجهم الشيطان عنها " .

ويقول معلقاً : " فذلك المعللة هي ضرورة الاحتياج ، وذلك الاحتياج من الشياطين هو تسويله الاستثناء ونفي الاحتياج . والرسل معوثون لتذكير وضع الفطرة وتطهيرها عن تسويل الشيطان " [ ص ١٢٥ ] وانظر ( مدارج السالكين ١ / ٥٥ ط دار المنار ط ١ . ١٤٢٤ هـ ) حيث يؤكد ابن القيم على فطرية الإيمان بوجود الله تعالى وعدم احتياجه إلى دليل . ذاهباً إلى أن وجوده تعالى أوضح من وضوح الشمس في منتصف النهار ، وأن من لم يشعر بذلك فليتوجه بالهمة إلى نفسه ، متمثلاً قول الشاعر :

وليس يصح في الأذهان شيء

إذا احتاج النهار إلى دليل .

(٥) شرح الطحاوية ص ١٢ ، وانظر شرح الأصفهانية ص ١٩ وما بعدها .

وقوله : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتُمْ تُؤْتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٦) .

٥ - ومن هنا فإن مدرسة ابن تيمية ترى أن الإيمان بوجود الله ﷻ أمر فطري لا يحتاج إلى دليل .

وكما يقول ابن تيمية : " فإن الفطرة السليمة للإنسانية شهدت بضرورة فطرتها ، وبديهة فكرها ، بصانع قادر ، عليم حكيم ﴿ أَلَمْ يَلَمْ أَنَّ اللَّهَ شَكٌّ ﴾ (٣) .  
ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع ، إنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك " (٤) .

(١) سورة (يونس ١٨) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ١ / ٩١ ، ١٥٤ ، ١٥٥ وشرح الأصفهانية ص ٢٣ ، وشرح الطحاوية ١ / ١ - ١٥ ، وتطهير الاعتقاد ص ١٥ - ١٦ .

(٣) سورة (إبراهيم ١٠) .

(٤) دواء تعارض العقل والنقل ٣٩٧ / ٧ - ٣٩٨ ولقد غاية الأقدام في علم الكلام للشهرستاني ص ١٢٤ ( حرره وصححه الفرزجيسوم ، ط مكتبة



الفاعل ، وجعلوا الإلهية هي القدرة والربوبية ، فالإله هو القادر وهو الرب<sup>(١)</sup> .

" وهؤلاء منتهى توحيدهم توحيد المشركين ، وهو توحيد الربوبية ، فأما توحيد الإلهية المتضمن للأمر والنهي ... فهم ينكرونه ، ولهذا هم أكثر اتباعاً لأهوائهم ، وأكثر شركاً ... " (٢) .

ويقول أيضاً : " ... لكن المتكلمون إنما انتصّبوا لإقامة المقاييس العقلية على توحيد الربوبية وهذا مما لم يناع في أصله حد من بني آدم " (٣) .

### دوافع هذا التقسيم :-

يظهر — بجلاء — لمن يقرأ كتب الشيخ ابن تيمية أن الذي دفعه إلى وضع هذا التقسيم الثلاثي للتوحيد :-

١- ما وجده —

بحسب رأيه — من انصراف كثير من المسلمين ( شيعة وصوفية ) عما جاء به سيد المرسلين من إخلاص العبادة لله رب العالمين : حيث نذرُوا وذبحُوا

(١) الفرقان بين الحق والباطل لابن تيمية ص ١٤٤ . ط دار الطباعة المحمدية — القاهرة ١٣٩٨ هـ .

— ١٩٧٨ م .

(٢) نفس المصدر ص ١٥١ .

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ، المجلد الثاني ( توحيد الربوبية ) ص ٣٧ — ٣٨ .

لغيره — سبحانه — من الألب والصالحين ، وتوسلوا واستغاثوا بهم واتخذوهم شفعاء ... كحال أهل الجاهلية ( من ) المشركين .

ومن ثم اعتبر هذه الأعمال شركاً في الألوهية ( التي تعني عنده " العبادة " فقط ) فوضع ما سماه هو " توحيد الألوهية " فكان عنده قسماً ثانياً بعد التوحيد الذي اعترف به المشركون وقرره المتكلمون أعني "توحيد الربوبية" . فيقول : " التوحيد ضد الشرك

فإذا قام العبد بالتوحيد الذي هو حق الله فعنده لا يشرك به شيئاً كان موحداً " (١) .

٢- ثم إنه وجد كثيراً من المتكلمين والفلاسفة الإسلاميين ينكرون بعض صفات الخالق العظيم بحجة أنها تتناهي مع وحدانية الخالق العظيم لأنها — أى الصفات — إن كانت زائدة على الذات . ولقدية فهذا يعني تعدد القدماء .. والله تعالى قد نفى التعدد وأثبت الوحدانية<sup>(٥)</sup> .

وهذا موقف اشتهر به المعتزلة والفلاسفة

(٤) مجموع الفتاوى ١ / ٥٢ — ٥٣ .

(٥) تراجع هذه المسألة في مظانها من كتب الطباعة . فستجد تفصيلاً مطولاً .

أن إثبات هذه الصفات هو من صميم التوحيد وأن إنكارها هو إنكار للذات بالكلية فضلاً عن إنكار الوحدانية . فتادي بما يسميه هو " توحيد الأسماء والصفات " فإذا أضيف هذا القسمين الأولين كان المجموع ثلاثة أقسام .

### نتائج هذا التقسيم :-

ومن ثم تقرر هذه المدرسة — بناء على ما مضى — أن كثيراً من المسلمين قد خالفوا توحيد الألوهية وخرجوا عليه، إذا استعانوا بغير الله وتوسلوا بسواه .

إذ يزعم ابن تيمية أن الذين يتوسلون بالأنبياء ويتشفعون بهم هم عابدون لهم، وقد كفروا بما كفر به عباد الأوثان والملائكة والمسيح سواء بسواء ، ويقول : إن " خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موته عند قبورهم ولي

وإن تيمية — كما هو أهل السنة — رفض هذا الموقف ، ويرى أن إثبات صفات لا تتناهي مع الوحدانية .... هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنه وجد الأسماء والمترتبة متفقين مع المعتزلة والفلاسفة في تأويل النصوص التي يوهم فيها مشاهة الله خلقه من الاستواء والذلول والوجه والعين واليد والرجل... إلخ .

لما يعني أنه مركب من أجزاء وهذا يناهز وحدة الذات ، والمخالفة للحوادث وبث العدد حليتها بلا كيف ...

ومن ثم لا يلزم من إثبات هذه الصفات التركيب ولا المشاهدة .

وبالمجمل : لما رأى ابن تيمية أن هذه الطوائف فكر الصفات الثبوتية والحرية بحجة أنها تتناهي الوحدانية وقف منهم موقفاً متعادلاً وسامحاً<sup>(١)</sup> جهمية وادعى

يقول ابن تيمية : " الجهمية على ثلاثة درجات فدرجة عالية الذين يقرن أسماء الله وصفاته ، وإن شئهم يشق من أسماء الحسنى قالوا : هو معجز فهو في الحقيقة صميم ليس له ولا علم ولا قادر ولا سميع ولا بصير ولا متكلم ...

ودرجة الثانية من الجهم : هو الجهم المعتزلة والجهم ، الذين يقرن بأسماء الله الحسنى في الجملة ولكن يقرن صفاته ، وهم أيضاً لا يقرن بأسماء

الله الحسنى كلها على الحقيقة ، بل يجعلون كثيراً منها على الجاز ، وهؤلاء هم الجهمية المشهورون .

وأما الدرجة الثالثة : فهم الصلفانية الثبوتيون المخالفون للجهمية ، لكن فيهم نوع من التسليم كالذين يقرن بأسماء الله وصفاته في الجملة ، لكن يردون طائفة من أسمائه الحسنى ... ويتأولونها ... ومنهم من يقر بالصفات الواردة في الأخبار ...

لكن مع نفي وتعطيل .... ولي هذا القسم يدخل أبو الحسن الأشعري وطوائف من أهل الكلام والفقه والحديث والصوف .... " .



وبعد : فهذه هي أهم مقولات  
المدرسة التيمية في هذا الموضوع  
فلنتقل الآن إلى مناقشة المراجع

## المبحث الثاني

### مناقشة تلك المراجع

أولاً : أنه تقسيم معدوم ..

بادئ ذي بدء نقرر أن تقسيم  
التوحيد لتلك الثلاثة لم يقل به أحد قبل  
الشيخ ابن تيمية فيما نعلم .  
ولهذا يصف كل من الدكتور طه  
حيشي والدكتور ربيع جوهري هذه  
الثلاثة بأنها " بدعة ما سمعت بها هذه  
الامة من قبل " .

ويصف أستاذنا الدكتور حيشي  
قائلاً : " وأنا الفتك إلى التاريخ قبل  
القرن الثامن الهجري وحتى عقد المبعث .  
تبع فيه العلماء إلى الصحابة ثم إلى  
الرسول ﷺ عنّا عن هذه الثلاثة . وأن  
رعيه لك بأنك لم تجد لهذه الثلاثة  
أولاً " (١) .

ويقول أستاذنا الدكتور جوهري :

إن هذا التقسيم بدعة ابتدعها ابن تيمية لم  
يقبلها أحد قبله ، وما كان رسول الله  
ﷺ يقول لأحد دخل في الإسلام أن  
هناك توحيدين . أحدهما معك ، وهو

(١) " بين الصلحة والبدعة - مساحة حوار " بحث  
للدكتور حيشي ، نشر ضمن " حولية كلية أصول  
الدين - القاهرة " العدد الثاني والعشرون ١ / ١٢٥  
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

توحيد الربوبية ، والآخر مطلوب منك  
كي تكون مسلماً وهو توحيد الألوهية .  
ولم يقل بذلك أحد من السلف .

ونفس الأمر نجد في كلام الدكتور  
عبد الله سمك ، حيث يقول : " إن رسول  
الله ﷺ لم يعرف عنه هذا التقسيم ...  
فكل الذين دعاهم النبي إلى الإيمان بالله لم  
يطلب منهم توحيداً يضاف إلى توحيدهم  
بل كان الثابت من دعوته أنه يطلب منهم  
أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأنه  
الله . فلم يرد عنه ولا عر صحابته أنهم  
خاؤا إلى تقسيم التوحيد إلى توحيد  
الألوهية وتوحيد الربوبية " (٢) .

وبذكر أستاذنا الدكتور محمد المسير  
أن " التفرقة بين توحيد الربوبية وتوحيد  
الألوهية تفرقة مصطنعة " (٣) .

وتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية " لم ينشر  
ونصر أيضاً " عقيدتنا " وكلامها للدكتور محمد  
ربيع جوهري ١ / ١٤٦ ، ط مطبعة وزارة  
الأوقاف ، ط ١٠ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

(٢) " حقيقة التوحيد " مقال للدكتور سمك نشر  
بمجلة البيان ، العدد الثالث ، شوال ١٤٢٥ هـ  
- ٢٠٠٤ م ، ص ١٠ .

(٣) التمهيد في دراسة العقيدة الإسلامية " للدكتور  
محمد سيد أحمد المسير ، ص ٢١ دار نقضه  
اعلمية ط القاهرة - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

مفاهيم وخطاب تماثلهم هو من أعظم  
أنواع الشرك الموجود في المشركين ...  
وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين " (١) .  
ويزعم الشيخ محمد بن عبد الوهاب  
أن كفرهم أشنع من كفر عباد الأوثان  
حيث قال : " اعلم أن شرك الأولين  
أخف من شرك أهل زماننا ... " (٢) .  
وقال أيضاً : " الذين قاتلهم رسول  
الله ﷺ أصبح عقولاً وأخف شركاً من  
هؤلاء " (٣) .

بل ويخطو الشيخ أبو بكر الجزائري  
خطوة أكبر حين يقرر أن مظاهر شرك  
الربوبية توجد " واضحة جلية في شتى  
مجالات حياة كثير من المسلمين " (٤) .  
في الوقت الذي يؤكد فيه على " أن  
منه في العرب أيام البعثة اعمدية لم  
يكنوا يشركون في ربوبية الله ﷻ أحد  
من خلقه " (٥) .

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ، المجلد الثاني ( توحيد الربوبية ) ١ / ١٥٩ .  
(٢) كشف الشبهات ص ٣٩ ، ط دار زمزم ، ط  
١ ، الرياض ١٤١٤ هـ .  
(٣) نفس المصدر ص ٤٣ .  
(٤) عقيدة المؤمن ص ٥٩ .  
(٥) نفسه ص ٥٩ ، فيذكر أن تلك المظاهر  
الشركية :-

١ - اعتقاد كثير من عوام الناس وأصحابهم أن  
هناك في الكون أقباطاً وأبدلاً من الأولياء  
والصالحين ... لهم قدر من التصرف معين في حياة  
الناس ، فهم يولون ويعزلون ، ويعطون ويمنعون ،  
ويصرون ويتفجعون ...  
وهو مظهر واضح للشرك في الربوبية ، لأنه من  
اعتقاد التصرف والتدبير في الكون لله تعالى أو  
له ولغيره معه .

٢ - اعتقاد كثير من المتسبين إلى العلم أن أرواح  
الآرب ، والصالحين لها تصرفاً بعد موتهم حتى شاع  
بين العوام " إذا تعسرت الأمور فعليك بأصحاب  
القبور " فيأتونهم للإستعانة بهم ....

٣ - الرهبة من الجن والخوف منهم . والإستعانة  
بهم وتقديم القرابين لهم ، كالتي تلبخ عند حافات  
الآبار عند حفرها ، وعلى آعتاب المنازل عند إقام  
بناتها وهو إشراك لشياطين الجن في ربوبية تعالى .

٤ - تقدس المشايخ من رجال التصوف  
والطرقين ، والمشعوذين ، وطاعتهم في غير طاعة  
الله ورسوله ، بل فيما هو مكروه لله ورسوله ﷺ .  
[ انظر عقيدة المؤمن ص ٥٩ - ٦٥ ]



• ابن أبي العز وتقسيمه الشيخ  
إسماعيل الهروي للتوحيد —

ومن عجيب ما قرأت في هذا . أن  
شارح الطحاوية يعترض على تقسيم  
الشيخ الهروي للتوحيد ، قائلاً : " وإذا  
عرف أن توحيد الألوهية هو التوحيد  
الذي أرسلت به الرسل ، وأنزلت به  
الكتب ... فلا يلتفت إلى قول من قسم  
التوحيد إلى ثلاثة أنواع ، وجعل هذا  
النوع توحيد العامة ، والنوع الثاني  
توحيد الخاصة ، وهو الذي يثبت بالحقائق  
، والنوع الثالث توحيد قائم بالقدم ،  
وهو توحيد خاصة الخاصة ... " (١)

ثم يعلل اعتراضه هنا بقوله : " إن  
المعنى الذي حام حوله لو كان مطلوباً منا  
لنبه الشارع عليه ، ودعا إليه وبينه ، فإن  
على الرسول البلاغ المبين ، فأين قال  
الرسول : هذا توحيد العامة . وهذا  
توحيد الخاصة ، وهذا توحيد خاصة  
الخاصة ؟ "

أو ما يقرب من هذا المعنى .. فهذا  
كلام الله المنزل على رسوله ﷺ وهذه  
سنة الرسول ﷺ ، وهذا كلام خير  
القرون بعد الرسول ﷺ وسادات

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٦

العارفين من الأئمة ، هل جاء ذكر هذا  
التقسيم عن أحد منهم ؟ " (٢)

ونحن من جانبنا نرد على الشيخ ابن  
أبي العز بالمثل ، فنقول أين قال رسول الله  
ﷺ : هذا توحيد الربوبية ، وهذا توحيد  
الألوهية ، وهذا توحيد الأسماء والصفات ؟  
وهل جاء هذا التقسيم عن أحد من  
الأئمة من بعده ؟

• وقفة مع صاحبها تحفاته •  
العقيدة السلفية " —

يذكر الدكتور " سيد عبد العزيز  
السلي " أن تقسيم التوحيد إلى أنواع  
ثلاثة ... الذي ذكره ابن تيمية لم يكن  
موجوداً عند الإمام أحمد ، فيقول : (٣)

" إن تقسيم التوحيد على هذا النحو  
لم يكن موجوداً فيما أثر عن لإمام أحمد " .  
غير أنه يؤكد على أن المعنى كان موجوداً  
عنده ، إذ يقول : إن التوحيد في حقيقته  
ما هو إلا الاعتراف بالله ﷻ وتوحيده  
بفعاله . وهذا توحيد الربوبية ، وهو

(٢) نفس المصدر السابق ص ٣٠ - ٣٧ ، الجزء  
الاول .

(٣) العقيدة السلفية بين الإساءة والعدل  
والإمام ابن تيمية " للدكتور السلي ص ٢١٥ ،  
ط دار المنار ، ط ٢ ، القاهرة - ١٤١٦ هـ -  
١٩٩٥ م .

فبين الإمام أحمد أن الأرباب الباطلة  
في الدنيا يتخذها المشركون أولياء من  
دون الله ويتوجهون إليها بالعبادة .  
وهو بهذا ينبه على توحيد الألوهية  
الذي هو توحيد العبادة " (٤)

تأمل أيها القارئ الكريم : هل هذا  
النص المنسوب إلى الإمام أحمد يدل على  
ما يقوله الدكتور ؟ كلا !! بل إنه يهدم  
هذا التقسيم للتوحيد من أساسه ، وكيف  
لا ؟ وقد عبر الإمام أحمد فيه —  
الأرباب " وهو تعبير يدل على أمرين لا  
ثالث لهما :

**أحدهما :** أن الزنادقة يقولون  
بتعدد الأرباب الخالقين ، وهذا المعنى —  
لو كان هو المراد — يسقط دعوي الإمام  
ابن تيمية ومدرسته بأن توحيد الربوبية لم  
يتنازع فيه أحد .

**والآخر :** أن معاني وخصائص "   
الربوبية " هي عينها معاني وخصائص "   
الألوهية " في فكر الإمام أحمد .

ألا ترى أن الآية عبرت بـ   
" الألوهية " وهو يشرح معناها مستخدماً   
لفظ " الربوبية " بل ويجمع اللفظ

أساس الإيمان والإسلام ومن مستلزماته  
توحيد الله بأفعاله الذي هو توحيد القيادة  
وهو توحيد الألوهية ، ولقد تحدث الإمام  
أحمد بن حنبل عن كثير من قضايا العقيدة  
كالإيمان والأسماء والصفات ، وهذه  
الأمر من مستلزمات توحيد  
الربوبية " (١)

وبعد أن قال هذا الكلام — الذي لا  
يدل على ما يقول لا من قريب ولا من  
بعد — راح يبحث عن سند له من قول  
الإمام أحمد ابن حنبل حيث قال : —

" وكان فيما كتبه الإمام ابن حنبل  
في الرد على الجهمية والزنادقة عند قوله  
— تعالى — : " **ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ**  
**مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ** " (٢)  
يقول : فلأن في الدنيا أرباباً باطلة  
لهذا ما شكت فيه الزنادقة " (٣)

أي يوجد في الدنيا أولياء يتولونهم .  
يؤثرونهم ، ويستشفعون بهم في قضاء  
حاجاتهم ... وهذا ما ينال توحيد العبادة .

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) سورة الأنعام ٦٢ .

(٣) يبرز المؤلف هذا النص إلى الكتاب المنسوب  
إلى الإمام أحمد " الرد على الجهمية والزنادقة "   
الطبع ص ١١٩ ، نشرات البلايين ١١ / ١ .  
تحليل محمد حامد الفقي . طبع أنصار السنة

(٤) العقيدة السلفية بين الإمام أحمد بن حنبل  
والإمام ابن تيمية " ص ٢١٥ - ٢١٦



(أرباب) وفي هذا إبطال واضح للتقسيم المذكور.

وهكذا يتضح للقارئ الكريم أن هذا التقسيم إنما هو من اختراع الإمام ابن تيمية. وهنا قد يقول لنا قائل: حتى لو لم يرد هذا التقسيم عن الرسول أو عن السلف نصاً، فإنه ذكر في القرآن ضمناً، والمعنى صحيح قطعاً<sup>(١)</sup>....

وهل كل التقسيمات المعروفة في العلوم الإسلامية قد ثبتت نصاً؟ ...

وأين يوجد في القرآن أو السنة: تقسيم صفات الله إلى نفسية وسلوية ومعان ومعنوية؟ ... الخ هذا ما نتناوله بالرد والمناقشة فيما يأتي:

**ثانياً: هذا التقسيم لا معنى له**

إن تقسيم التوحيد — بهذه الصور — لو ذكر ضمناً وصح لسلمنا له

(١) وفي هذا يقول د / سيد عبد العزيز السيلي: "قد يقال: إن هذا التقسيم للتوحيد على هذا النحو الذي سبق لم يقل به النبي — ﷺ — فمن أين للسلف هذا التقسيم؟ ويجاب عن هذا بأن النبي — ﷺ — وإن لم يقسم التوحيد إلى تلك الأقسام لفظاً فهي واردة معني ... وأيضاً فإن الرسول — ﷺ — لم يحصرها في قسم واحد.

والقرآن الكريم لفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية حيث أن المشركين أقروا بالأول دون الثاني" [العقيدة السلفية ... ص ٤٩].

ولقلنا به، طبقاً لقاعدة "لا مشاحة في الاصطلاح" و "الحق أحق أن يتبع" لكن الحق — بحسب اجتهادنا — أنه تقسيم غير صحيح.

وفي هذا يقول الدكتور محمد المسور: "إن هذا التقسيم لا ضرورة له، ولا تسانده دلالة لغوية أو شرعية"<sup>(٢)</sup>.

ويري الدكتور جوهري أنه "لا معنى لهذا التقسيم"<sup>(٣)</sup> ونفس الرؤية نجدها لدى الدكتور عبد الله سمك<sup>(٤)</sup>.

وبحكم الدكتور طه حبيشي بإطلاق هذه الثلاثية المخترعة في جزء هام من العقيدة وهو توحيد الله ﷻ<sup>(٥)</sup>.

نعم إن هذا التقسيم لا معنى له، ولا ضرورة تلجئ إليه لأن الإله الحق هو الرب الحق، والإله الباطل هو الرب الباطل.

(١) التمهيد في دراسة العقيدة الإسلامية ص ٢١.  
(٢) توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية "ر" عقيدتنا ١٤٦ / ١.

(٣) إذ يقول "إن توحيد الربوبية لا معنى له لأن القضية تحصر في كلمتين توحيد وشرك. والتوحيد لا يقبل القسمة فالواحد هو الذي لا جزء له" [حقيقة التوحيد مقال بمجلة البيان العدد الثالث ص ١٠].

(٤) انظر بحثه "بين المصلحة والبدعة" المنشور ضمن حولية كلية أصول الدين بالقاهرة. العدد الثاني والعشرون ١ / ١٢٥.

شاهد على ذلك ناطق به، والواقع الذي نعيشه يؤكد ذلك بلا أدنى مرية

فإن قيل: هذه كلها دعاوي إنشائية وأحكام هوائية لا دليل عليها من قرآن ولا سنة نبوية، بل قام الدليل على خلافها كما بينته مدرسة ابن تيمية.

قلنا لو تمهلنا قليلاً والتزمت الروية لقرأت الأدلة الحكيمة فلنشرع في بيان ذلك طالبين المعونة من خالق البرية.

**ثالثاً: هذا التقسيم لا تصانده دلالة لغوية —**

يتوهم البعض أن لفظ "الربوبية" يعني في اللغة الخلق والرزق والتدبير فقط دون العبادة، بينما تقتصر دلالة "الألوهية" في اللغة على العبادة بيد أن هذا ليس صحيحاً (على إطلاقه) ... إذ استخدمت اللغة اللفظين في معان واحدة تشمل الخلق والرزق والعبادة جميعاً

فقى "لسان العرب" (١) نقرأ: "فإن الله أصله إله .... ولا يكون إلهاً حتى يكون معبوداً وحتى يكون لعباده خالقاً ورازقاً ومدبراً، وعليه مقتدر، فمن لم يكن كذلك فليس بإله، وإن عُبد ظلماً، بل هو مخلوق ومتعبد".

(١) ١١٤ / ١ (مادة: إله). طبعة دار المعارف.

والقول بأحدهما قول بالآخر، والإشراك في أحدهما إشراك في الآخر.

والتوحيد لا يقبل القسمة، إذ الواحد هو الذي لا جزء له ووحدانية الله تعني — لدى علماء الإسلام — عدم التعدد في الذات (أي أن ذاته تعالي ليست مركبة من أجزاء، وأنه لا شريك له في ملكه).

والصفات (أي ليس لغيره صفة من صفاته ﷻ).

والأفعال (أي ليس لغيره فعل من أفعاله).

فمن أقر بهذا فهو موحد يلزمه أن يعبد الله وحده.

ومن أشرك مع الله غيره في واحدة من هذه الثلاث فهو مشرك يعبد مع الله غيره، ومن أنكر وجود الله أصلاً فهو ملحد يترك العبادة رأساً، ولقد وجد الطوائف الثلاث — أعني الموحدين والمشركون والملحدون — قديماً وحديثاً.

وقد أرسل الله الرسل — عليهم السلام — للدعوة إلى التوحيد الخالص ومحاربة الشرك والإلحاد وكتاب الله الخالد المحفوظ من التغيير والتبديل الذي نزل على سيد الأنبياء وخاتم المرسلين.



وهذا واضح في اعتبار " الخلق  
والرزق والتدبير من خصائص الألوهية  
الحقة".

وفي " المعجم الوجيز " (١) نجد " **الرب** : الإله المعبود والمالك والقيم  
والمدير (ج) أرباب " .

ومعنى هذا أن لفظ " الرب " يطلق  
على عدة معان : يأتي في مقدمتها " **المعبود** " ومن ثم فدلالات اللفظين واحدة  
، ولما يؤكد هذا أن المشركين كانوا  
يطلقون على " الأصنام " لفظ " أرباب " **كما**  
يطلقون عليها لفظ " آلهة " وقد جاء  
ذلك في أشعارهم ... ومن ذلك قول  
أحدهم :

أرب يبول الثعلبان برأسه  
لقد ذل من بالث عليه الثعالب (٢)

(١) ص ٢٥٠ ( مادة : رب ) طبع مجمع اللغة  
العربية - مصر ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ... وقد  
أقر الشيخ أبو بكر الجزائري بهذا فقال : " إن لفظ  
الرب يطلق على عدة معان ، منها السيد والمالك  
والربي ، والمصلح ، والمعبود بحق " لا عقيدة المؤمن  
ص ٥٣ ] .

(٢) قبل هذا البيت ، عندما ذهب قائله إلى " **سواع** " فالتقى عنده ثعلبين يلحسان ما حوله  
ويأكلان ما يهدى إليه ، ثم يولان عليه . [ انظر  
" الروض الأنف في شرح السيرة النبوة للسيهلي " **٣٤٦ / ١**  
تحقيق عبد الرحمن الوكيل ] .

ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل (٣) :  
أرباً واحداً أم ألف رب  
أدين إذا انقسمت الأمور  
عزلت اللات والعزى جميعاً  
كذلك يفعل الجلد الصبور  
فلا العزى أدين ولا ابتيتها  
ولا صمي بني عمرو أزور  
ولا هبلأ أدين وكان رباً  
لنا في الدهر إذ حلمي يسر  
ومنه قول حاتم الطائي (٤) :  
إلههم ربي وربي إلههم  
فانقسمت لا أرسو ولا أتعذر  
فهذه الآيات وغيرها تثبت أن لفظ  
" الرب " كان يطلق على غير الله ﷻ  
ولهذا يقول ابن منظور : " وقد جاء -  
أى لفظ الرب - في الشعر مطلقاً على  
غير الله ﷻ وليس بالكثير " (٥) .

(٣) انظر مختصر سيرة ابن هشام ١/ ١٥١  
ويلاحظ أن الشهرستاني ينسب هذه الآيات إلى  
قصي بن كلاب . [ انظر الملل والنحل ٢ /  
٢٤٨ ] .

(٤) انظر الملل والنحل ٢ / ٢٤٩ ومعنى أرسو :  
أتوقف ، وأتعدى : الشمس الأعذار .  
(٥) لسان العرب ٢٥٤٦ / ٢ وقارن " النهاية في  
غريب الأثر " ١٧٩ / ٢ .

إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ  
بِهِ (٥) .

ويقول : ﴿ إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ  
أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي  
حَرَّمَهَا ﴾ (٦) .

وذلك يعني اتحاد المعنى في لفظي  
الرب والله .

٢ - ويأمرنا ﷻ بتقواه ، فيستخدمه  
اللفظين في إطار ومعنى واحد هو إفراد  
الله بالعبادة .

فيقول : ﴿ يَتَأَيَّمُ النَّاسُ اتَّقُوا  
رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ  
وَاحِدَةٍ ﴾ (٧) .

ويقول : ﴿ يَتَأَيَّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا  
اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِيهِ ﴾ (٨) .

٣ - ويصف القرآن : " الرب " **بأنه**  
خالق المدير المالك المتصرف

ويصف " الله " بنفس هذه المعاني

اقرأ قوله ﷻ : ﴿ الَّذِي جَعَلَ  
لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً  
وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ

رابعاً : القرآن الكريم يستخدمه  
لفظي " الرب " و " الإله " في معان  
واحدة (١) .

وقد ورد البيان القرآني باستخدام  
لفظ " الرب " و " الإله " في معان واحدة  
تشمل الإقرار والعبادة معاً (٢) .

١ - قاله ﷻ يأمرنا بعبادته ،  
مستخدماً لفظ " الرب " مرة و " **الله** " مرة أخرى بلا تفرقة في  
المعنى المراد منها .

فيقول ﷻ : ﴿ يَتَأَيَّمُ النَّاسُ  
أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ (٣)  
ويقول : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا  
بِهِ شَيْئاً ﴾ (٤) .

وكذلك يأمر ﷻ رسوله بعبادته  
مستخدماً اللفظين أيضاً فيقول : ﴿ قُلْ

(١) ويشير الجوزي إلى وحدة معانيهما في الكتب  
الأخرى فيقول : " إنا وجدنا الرب في التوراة وما  
بعدها من كتب الأنبياء - المعدودة في مجلداتها -  
موازياً لله في العربي .... ووجدنا الإله فيها موازياً  
للرب في العربي " .

[ تحقيق ما للهند من مقولة ص ٢٧ تقديم د .  
عماد مكي . ط الزخائر . إصدار ديسمير  
٢٠٠٣ م .

(٢) انظر التمهيد للدكتور المسير ص ٢١ - ٢٤ .  
وقد ألفت منه في هذا المعنى كثيراً .

(٣) سورة البقرة (٠٢١) .

(٤) سورة النساء (٠٣٦) .

(٥) سورة الرعد (٠٣٦) .

(٦) سورة النمل (٠٩١) .

(٧) سورة النساء (٠٠١) .

(٨) سورة آل عمران (١٠٢) .



الْكَفَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ  
أندادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾

يقول الدكتور المسير - معلقاً على  
هذه الآية - : " فقد بدأ النص هنا  
بالحديث عن الرب وختم بالحديث عن  
الله ، وتكرر ذلك في القرآن  
كثيراً... " (٢)

وتدبر - مع هذه الآية - قوله  
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي  
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ  
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي  
الَّيْلَ الْهَارَ يُطَلِّبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ  
وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ  
أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ  
الْعَالَمِينَ ﴾ (٣)

فالله هو المتفرد بالخلق والتدبير  
والأمر ، ﴿لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ﴾ .  
وفي هذا دلالة واضحة على وحدة  
معاني الربوبية والألوهية .

٤- وأضاف القرآن جمع الخالق  
وحشرهم للحساب والجزاء إلى الرب وإلى الله .  
فقال : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا

رَيْبَ فِيهِ ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ  
حَدِيثًا ۚ﴾ (٤)

وقال : ﴿قل يجمع بيننا ربنا ثم  
يفتح بيننا بالحق وهو الفتح العليم﴾ .  
[سبا : ٢٧] .

٥- ويحكي القرآن عن فرعون أنه  
ادعى الألوهية والربوبية فقال :

﴿فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٥﴾ فَقَالَ أَنَا  
رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴿٦﴾﴾ (٥)

وقال : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ بَنَاتِي  
أَلَمَلَا مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ  
غَيْرِي﴾ (٦)

فهذا واضح - بل وقاطع - في  
وحدة المعنى في اللفظين .

٦- ويذكر الكتاب العزيز أن

الإيمان " بالله " هو الإيمان " بالرب "  
فيقول : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ  
بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا  
بِرَبِّكُمْ﴾ (٧)

وأن الظن الفاسد بالله هو ظن  
بالرب ... ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ  
يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا

(١) سورة (النساء ٠٨٧) .

(٢) سورة (النازعات ٠٢٣-٠٢٤) .

(٣) سورة (القصص ٠٣٨) .

(٤) سورة (الحديد ٠٠٨) .

رَبِّي لَا يُحِيطُ بِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ  
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ  
إِلَّا بَغْتَةً يَسْتَفْهِنُ كَأَنَّكَ خَفِيفٌ عِنْدَ  
قُلٍّ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ  
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾﴾ (١)

خامساً : القرآن والسنة  
يستخدمان لفظ " الرب " في معنى  
العبادة -

وبالإضافة إلى ما ذكر - من آيات  
تدل على وحدة معاني وخصائص الربوبية  
والألوهية - فإن هناك نصوصاً قرآنية  
ونبوية تستعمل لفظ " الرب " في معنى  
العبادة ( أي الألوهية بنظر المدرسة  
التيمة ) ومنها :-

١- قوله ﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ  
أَبْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (٢)

أي قل يا محمد هؤلاء المشركين أغفر  
الله أطلب رباً سواه ، وهذا " جواب عن  
دعائهم له إلى عبادة آلهتهم ، والهمزة  
للإنكار : أي منكر أن أبني رباً غيره " (٣)

أَبْصَرْتُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ  
ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا  
تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ وَذَلِكَ ظَنُّكُمُ الَّذِي  
ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ  
مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣﴾﴾ (٣)

وأن الشرك يكون " بالله " كما  
يكون " بالرب " ...

قال ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ  
فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ (٤)

وقال : ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ  
رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ  
يُشْرِكُونَ﴾ (٥)

وعلى هذا فالإيمان بـ " الربوبية "  
هو إيمان بـ " الألوهية " والشرك بـ "  
الربوبية هو شرك بـ : الألوهية "  
وبالعكس .

٧- وخص القرآن الكريم علم  
الساعة بالله والرب ، وجعل ميقانها  
مقصوراً عليه سبحانه ، بلا تفرقة بين  
لفظي الرب والله ، فكلاهما يعبر عن معنى  
التفرد بالعلم والاستتار بالغيب ... حيث  
قال ﴿يَسْتَفْهِنُ عَنْ السَّاعَةِ  
أَيَّانَ تُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ

(١) سورة (الفصلت ٠٢٢-٠٢٣) .

(٢) سورة (المائدة ٠٧٢) .

(٣) سورة (الروم ٠٣٣) .

(٤) سورة (الأعراف ١٨٧) .

(٥) سورة (الأنعام ١٦٤) .

(٦) تفسير الكشاف للزمخشري ٢ / ٨١ ، ط دار

الكتب العلمية ، بيروت ، منشورات محمد علي

بيضون ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

(١) سورة (البقرة ٠٢٢) .

(٢) التمهيد ص ٢٢ .

(٣) سورة (الأعراف ٠٥٤) .



فالتقرآن استخدم تعبير " رب " وكان الأولى — على رأيهم — أن يستخدم لفظ " إله " فيقول مثلاً : أبني إلهما ، لأن المشركين لم ينازعوا في توحيد الربوبية ، بل نازعوا في توحيد الألوهية كما يقولون ١١ .

٢ - ويقول إبراهيم عليه السلام عن الكوكب والقمر والشمس مكرراً : " هذا ربي " .

{ الأنعام : ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ } .

وكان الأدق أن يقول إبراهيم عليه السلام : " هذا إلهي " لا " هذا ربي " لأن عبدة الكواكب لم يدعوا أنها خالقة رازقة ...

فيما ترى هل أخطأ إبراهيم عليه السلام في هذا التعبير ؟

٣ - وسؤال الملكين للميت في قبره يكون : " من ربك " (١) ... وكان الواجب أن يسألاه ( من إلهك ) لا " من

(١) جزء من حديث صحيح : أخرجه أحمد في المسند ( الموسوعة الحديثة ) ٣٠ / ٥٠٠ تحقيق شعيب الأرنؤوط ، ط مؤسسة الرسالة ط ١ ، ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م ، وأبو داود في السنن ، كتاب السنة ، باب في المسألة في القبر ٤ / ٢٤٠ ، ط دار الحديث — القاهرة ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م ، وغيرهما .

ربك " لأنه لم ينازع في توحيد الربوبية ، كما تقول مدرسة ابن تيمية .

سادساً : القرآن ينفي تعدد الأرباب " -

إن من أدل الأدلة على بطلان تقسيم التوحيد — على هذا النحو المذكور — أن القرآن الكريم ساق أدلة عقلية قطعية تنفي تعدد الأرباب مستخدماً لفظ " الألوهية " : -

١ - ففي سورة المؤمنون نقرأ قوله **﴿ مَا آتَاكَ اللَّهُ مِنْ رَحْمَةٍ فَإِنَّهَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهِ إِذَا لَدَّبَ كُلُّ إِلَهِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾** (١)

تدبر أخي الكريم هذه الآية جيداً ، فستجد أنها تقدم ما ذهب إليه ابن تيمية وأتباعه هدماً تاماً ...

إنما تنفي تعدد الآلهة وتحيل ذلك ؛ لأنه لو وجد إله آخر مع الله لكان خالقاً مثله ، إذ لا يتصور " إله " بدون خلق وإحداث ولو كان معه خالقون : للذهب كل إله بما خلق " أي لو قدر تعدد الآلهة لانفرد كل منهم بما خلق فما كان ينتظم الوجود " .

(٢) سورة المؤمنون (٩١) .

والذي يهمنا أن تؤكد عليه — هنا — هو أن الآيتين صريحتان في أنه لا يصلح أن يكون الإله إلهاً إلا إذا كان خالقاً مدبراً قاهراً ، وهذه الصفات هي من خصائص الربوبية دون الألوهية ينظر مدرسة ابن تيمية .

• اضطراب الشيخ ابن أبي العز -

يقول الشيخ ابن أبي العز - مقررأ ما ذكرناه في العنوان السابق :-

" فلما كان هذا الشرك في الربوبية موجوداً في الناس بين بطلانه ، كما في قوله **﴿ مَا آتَاكَ اللَّهُ مِنْ رَحْمَةٍ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهِ إِذَا لَدَّبَ كُلُّ إِلَهِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾** (١) فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز الظاهر ، فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً ، يوصل إلى عابده النفع ، ويدفع عنه الضر ، فلو كان معه **﴿ مَا آتَاكَ اللَّهُ مِنْ رَحْمَةٍ ﴾** آخر يشركه في ملكه ، لكان له خلق وفعل ، وحينئذ فلا يرضى تلك الشراكة ، بل إن قدر على قهر ذلك الشريك

والشاهد أن الوجود متسق ، كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض في غاية الكمال **﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ ﴾** (٢) .

" ثم لكان منهم يطلب قهر الآخر وخلافته فعملوا بعضهم على بعض " (٣) .

٢ - وفي سورة الأنبياء نقرأ : **﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾** (٤) .

أي لو كان يتولى السماوات والأرض ، ويدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد لفسدتا ، وقد صاغ المتكلمون من هذه الآية ما يعرف بدليل " التمانع " ونظمه هكذا : إنه لو فرض صانعان فصاعداً : فأراد أحدهما وجود العالم وأراد الآخر عدمه ... فإما أن يحصل مرادهما معاً ، وهو محال لما يلزمه من اجتماع النقيضين ، أو لا يحصل مرادهما وهو محال أيضاً كما يلزمه من رفع النقيضين ، بل وعجزهما معاً أو يتم مراد أحدهما دون الآخر ، فيكون الغالب هو الإله الخالق دون الآخر لعجزه إذ العاجز لا يصلح أن يكون إلهاً ....

(١) سورة الملك (٢٠) .

(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ٢٤٢ .

(٣) سورة الأنبياء (٢٢) .

(٤) سورة المؤمنون (٩١) .



وتفرد بالملك والألوهية دونة فعل ، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه ، وذهب بذلك الخلق ، كما يتفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه ، إذ لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه فلا بد من أحد ثلاثة أمور :-

❖ إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه .

❖ وإما أن يعلوا بعضهم على بعض .

❖ وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كما يشاء ولا يتصرفون فيه ، بل يكون وحده هو الإله وهم العبيد المربوبون المهبورون من كل وجه .

وانتظام أمر العالم كله وإحكام أمره من أدل دليل على أن مدير واحد ، وملك واحد ، ورب واحد ، لا إله للخلق غيره ، ولا رب من سواه .

.... وقريب من هذه الآية قوله ﷻ : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةَ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (١) (٢)

وبعد هذا الكلام السديد يعود ابن أبي العز - في اضطراب واضح - فيهدم

ما قاله ، حيث يقول " وقد ظل طوائف أن هذا دليل التمايز ... وهو أنه لو كان للعالم صانعان إله وغفلوا عن مضور الآية فإنه ﷻ أخير أنه لو كان فيهما آلهة غيره ، ولم يقل أرباب " (٣)

عجيب هذا الكلام من الشيخ ابن أبي العز : إن القرآن لم يقل " أرباباً " وقال " آلهة " لأن معاني كلا اللفظين ودلالتهما واحدة ، كما أوضحنا من قبل ، وكما دل عليه كلام ابن أبي العز نفسه ... ألم يقل ابن أبي العز في النص السابق : " إن الإله الحق لابد أن يكون خالقاً فاعلاً يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر ، فلم كان معه ﷻ إله آخر يشركه في ملكه لكان له خلق وفعل " وهل الخلق والفعل شي آخر غير الربوبية " .

ألم يقل هو نفسه في موضع آخر من كتابه : " إن توحيد الربوبية ... ( هو ) أن الله وحده خلق كل شيء " (٤)

وعلى أية حال فإن القرآن - وإن لم يعبر هنا بأرباب - فقد عبر بما في مواضع أخرى .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢

(٣) المصدر السابق ص ٧ وانظر ص ٩ وما بعدها

أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥﴾ والآية صريحة في تعدد " الأرباب " وكان القياس - على رأي ابن أبي العز والمدرسة الشيعة أن يقال " آلهة " لأن عبدة الملائكة والنبیین لم يعتقدوا فيهم أنهم خالقون للسموات والأرض (٦)

٣ - وفي نفس السورة نقرا : ﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ﴾ (٧) ... قال ابن جرير يعني يطبع بعضنا بعضاً في معصية الله ، وقال عكرمة : يسجد بعضنا لبعض (٨)

واضح من هذا استخدام لفظ " أرباب " في معنى العبودية ....

٤ - وفي سورة التوبة يقول ﷻ : متحدثاً عن اليهود والنصارى : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ

(٢) سورة (آل عمران ٥٨) (٣) إذ يروي في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس قال : قال أبو رافع القرظي مع الأحبار من اليهود والنصارى من أهل حبران عند رسول الله ﷺ - ودعاهم إلى الإسلام - أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ ... فقال رسول الله ﷺ : " معاذ الله أن نعبد غير الله أو نأمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثني ولا أمري " .

[ تفسير ابن كثير ١ / ٣٥٥ - ٣٥٦ ]

(٤) سورة (آل عمران ٦٤)

(٥) [ تفسير ابن كثير ١ / ٣٥٠ ]

وطائفة ما نعليه فعبدة العتوان التالي -

❖ القرآن ينهي عن اتخاذ " الأرباب " .

حينما نقرا القرآن العظيم نجد أن التعبيرات القرآنية تتكرر بالنهي عن اتخاذ " الأرباب " ...

١ - ففي سورة يوسف : نجد دعوة يوسف ﷻ لصاحبه في السجن إلى التوحيد الخالص .. ﴿يَتَصَلِّحْ لِّلْسِجْنِ أَرْبَابَ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (١)

تعبير يوسف بـ " الأرباب " يدل على أن الناس - في عصره - كانوا يتخلون أرباباً متعددة يعبدونها مع الله .

وهنا نتساءل مع أستاذنا الجوهري فكيف يقال : إله ليس في البشر من يشرك في الربوبية ؟ أم أن يوسف ﷻ أخطأ في التعبير بالأرباب ، وكيف عليه أن يقول " آلهة متفرقون " (٢)

٢ - وفي سورة آل عمران يقول ﷻ : ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا

(١) سورة (يوسف ٣٩)

(٢) توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية " وانظر "

عقيدتنا " ١ / ٤٦

(١) سورة (الأنبياء ٢٢)

(٢) شرح الطحاوية ص ٢١ - ٢٢



وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾

روي أحمد والترمذي — من طرق — أن عدي ابن حاتم دخل على النبي ﷺ وهو يقرأ هذه الآية .... فقال : " إثم لم يعبدوهم " ... فقال النبي ﷺ : " بلي إثم حرموا عليهم الحلال واحلوا الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم " (١). فانظر كيف أطلق عليهم " أرباباً " مجرد إبداعهم في التحليل والتحريم بغير ما أنزل الله !!

فهل بعد هذا كله يقال : إنه قال : آلهة ولم يقل " أرباب " ؟

ومهما يكن من أمر فإننا نخلص إلى ما خلاص إليه أستاذنا المسير حين قال : " إن عقيدة المسلم في الرب هي بعينها عقيدته في الإله ، فالرب هو المستحق للعبادة ، والله هو البارئ الخالق المصور وبالعكس " (٢).

(١) (التوبة ١٠٣١).

(٢) [ تفسير ابن كثير ٢ / ٣٣٦ ] .

(٣) التمهيد ص ٢٤ .

سابعاً بطلان الالوه بان توحيد الربوبية له مخالفه فيه أحد — إن زعم هذه المدرسة بان توحيد الربوبية لم يخالف فيه أحد من المسلمين والمشركون غير صحيح . يشهد بعلم صحته النص القرآني ، والتاريخ ، والواقع —

١ - لما القرآن العظيم : لقد حكى لنا عن مصنف من الناس ينكرون الخالق المدبر : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُبْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ (١).

يقول العلامة ابن كثير — عند تفسيره هذه الآية — : " هذا ( قول ) يقوله مشركوا العرب المنكرون للمعاد ، وتقولاه الفلاسفة الدهرية المنكرون للصانع .... " (٢).

ويتحدث الإمام الشهرستاني عن أصناف معطلة العرب ، فيقول : " فصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والإعادة . وقالوا بالطبع الحي والدهر المعنى وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد : — ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا

(١) الخاتمة ٢٤ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ١٤٦ .

حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُبْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ (٣).

ويحدثنا حجة الإسلام الغزالي عن الدهرية فيقول : " هم طائفة من الأقدمين جحدوا الصنائع المدبر ، العالم القادر . وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه . ولا يصانع . ولم يزل الحيوان من نطفة من حيوان كذلك كان ، وكذلك يكون . وهؤلاء هم الزنادقة " (٤).

٢ - ويحدثنا القرآن الكريم عن المناظرة التي جرت بين نبي الله إبراهيم عليه السلام والتمرد بن كنعان ، فيقول ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّئُ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُخَيِّئُ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥).

يقول ابن كثير معي " ألم تر " أي بقلبك يا محمد ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ أي وجود ربه وذلك أنه أنكر أن يكون إله غيره وكان طلب من إبراهيم دليلاً على وجود الرب الذي يدعو إليه : إبراهيم ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّئُ وَيُمِيتُ ﴾ أي إنما الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها ، وعدمها بعد وجودها .

وهنا دليل على وجود الفاعل المحتار ضرورة لأنها لم تحدث بنفسها فلا بد من موجد أو وجدها وهو الرب الذي أدعو إلى عبادته وحده لا شريك له . (٥).

وعلى هذا فالتمرد ( ملك بابل ) كان ينكر وجود الله أصلاً ، فضلاً عن إشراكه في توحيد الربوبية .

٣ - كما يحكي لنا القرآن — كما أشرت من قبل — قول فرعون ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ (٦) (٧).

(٥) تفسير ابن كثير ٦ / ٢٩٦ .

(٦) سورة النازعات ٢٤ .

(٧) التعبير به ( الأعلى ) يشعر أن فرعون كان يعترف بوجود أرباب كثيرين .

(١) الخاتمة ٢٤ .

(٢) الملل والنحل ١ / ٢٣٥ .

(٣) الملل والنحل من ١٠٩ .

(٤) سورة البقرة ٢٥٨ .



فهذا الملك المصري طغي وادعى الربوبية لنفسه ، فأرسل الله إليه موسى وهارون — عليهما السلام — ﴿ قَاتِلَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ <sup>(١)</sup>

فما كان من فرعون إلا أن أنكر وجود الرب الخالق ، قائلاً : ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup>

" ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقد غلط ، فإنه لم يكن مقراً بالصانع حتى يسأل عن الماهية ، بل كان جاحداً له بالكلية " <sup>(٣)</sup>

بل ويذكر العلامة ابن كثير أن قوم فرعون أيضاً يتحدثون الصانع حيث قال : " وقومه كانوا يتحدثون الصانع جل وعلا ، ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون " <sup>(٤)</sup> مستدلاً بقوله ﷻ : ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ ﴾ <sup>(٥)</sup>

ثم يقول بعد هذا — مدعماً كلامه — " هكذا فسره علماء السلف وأئمة والخلف " <sup>(٦)</sup>

<sup>(١)</sup> سورة (الشعراء ١٦٠)

<sup>(٢)</sup> الشعراء ٢٣ .

<sup>(٣)</sup> تفسير ابن كثير ٣ / ٣١٦ .

<sup>(٤)</sup> نفس المصدر والصفحة .

<sup>(٥)</sup> سورة (الزخرف ٥٤) .

<sup>(٦)</sup> نفس المصدر والصفحة .

وكان ابن كثير يقول لنا : لن بدعاً في هذا الرأي ، بل عليه أئمة السلف والخلف

ولكن قد يقال : أن فرعون كان يؤمن بوجود الله باطناً ، وإن جحد ذلك ظاهراً . بدليل قول موسى لفرعون : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَتُزَلُّ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ ﴾ <sup>(٧)</sup>

وكذلك قومه بدليل قوله ﷻ : ﴿ وَجَحِّثُوا بِهَا وَأَسْئَلْتَنَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا ﴾ <sup>(٨)</sup>

نقول وفقاً على هذا : يظهر من هاتين الآيتين بعد التسليم بأن المتحدث في الآية الأولى هو موسى وليس فرعون — إن فرعون وقومه عرفوا بقلوبهم أن هذه المعجزات التي شاهدها على يد موسى ليست من أفعال البشر ولا بل قدراتهم لكنهم — مع هذه المعرفة — لم يؤمنوا حتى بقلوبهم ، بل إن فرعون — كما يقول ابن كثير — : " كفر قلبه ، فلم يتفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره ، وعلمه بأن ما جاء به حق لا يلزم منه أنه مؤمن به ، لأن المعرفة علم القلب ،

<sup>(٧)</sup> سورة (الإسراء ١٠٢) .

<sup>(٨)</sup> سورة (النمل ١٤) .

والإيمان عمله : وهو الانقياد للحق والخضوع له " <sup>(٩)</sup>

وأياً ما يكن الأمر فإنه ادعى الربوبية ، وزاد على ذلك إنكار الخالق العظيم وصدقه قومه في هذا ، واحتاج الأمر إلى رسول يصحح الأمور ويضبط حال الجمهور ... فكان ما حكاه الله في هذا الدستور .

٤ - ويقص لنا القرآن محادثة الرجلين ... المؤمن بوجوده ﷻ والكافر به اللذي أعطاه الله جنتين حيث قال المؤمن للآخر : ﴿ قَالَ لِمَ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُخَاوَرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴾ <sup>(١٠)</sup> لَيْكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أَشْرُكَ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ <sup>(١١)</sup>

واضح من النص أن صاحب الجنتين كفر بالخالق وجحد ربوبيته ، بينما يؤمن صاحبه بالخالق العظيم ولا يشرك في ربوبيته أحداً .

ثم يأتي المشهد الأخير من المحادثة ، فترى ندم ذلكم الجاحد — بعد خراب جنته — ﴿ يَلَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ <sup>(١٢)</sup>

<sup>(٩)</sup> تفسير ابن كثير ٤ / ٤٥٢ .

<sup>(١٠)</sup> سورة (الكهف ٣٧-٣٨) .

<sup>(١١)</sup> سورة (الكهف ٤٢) .

قالشرك إذن كان شرك ربوبية وليس ألوهية .

فإن قيل : أن ذلك الكافر اعترف بالربوبية حين قال : ﴿ وَلَيْنِ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ <sup>(١٣)</sup>

وغاية الأمر أنه كان ينكر المعاد .

قلت : إنه قال ذلك جدلاً ، أي وعلى فرض أن هناك معاداً ورجعة ورباً محاسباً فليكون لي هناك أحسن من هذا الحظ ، بدليل أنه قال ذلك مباشرة " وما أظن الساعة قائمة " فهذا على سبيل المجادلة والإفحام وليس على سبيل الاعتراف والإقرار .

٥ - وأما التاريخ فخير شاهد على وجود طوائف كثيرة من الأقدمين ينكرون الصانع العظيم وهم على كثرتهم .... يشملهم اسم ( الدهرية ) كما ذكر مؤرخوا الأديان كالشهرستاني والغزالي .

هذا وقد اعترف شيخ الإسلام ابن تيمية بوجود منكري الصانع ، لكنه في الوقت نفسه اعتبر إنكارهم نوعاً من الناس وهي حالة عارضة وليست ثابتة إذ يقول : " إن إنكار الصانع ... لما يعرض

<sup>(١٢)</sup> سورة (الكهف ٣٦) .



لكثير من الناس ، ويقول بعض الناس إما ظاهراً دون الباطن كحال فرعون ونحوه ، وإما باطناً وظاهراً كما ذكر الله مناظرة إبراهيم — صلوات الله عليه وسلامه — للذي حاجه في ربه ، ومحاجة موسى — عليه صلوات الله — لفرعون .

لكن هذا لا يمنع أن تكون المعرفة به مستقرة في الفطرة ثابتة بالضرورة .

فإن هذا نوع من السفسطة ، والسفسطة حال يعرض لكثير من الناس إما عمداً أو خطأ <sup>(١)</sup> .

أقول حتى لو فرضنا أن إنكارهم للصانع كان مفسطة كما يقول ابن تيمية ، فإن إنكارهم قد وقع بالفعل ، واستدعي ذلك أن يرسل الله ﷻ رسلاً ليعيدوا الناس إلى الجادة فيعرفوا بالله خالقاً ورازقاً ومن ثم يفردوه وحده بالعبادة كما فعل إبراهيم وموسى — عليهما السلام — مع النمرود وفرعون . والشيخ ابن القيم اعترف أيضاً بوجود هؤلاء الدهرية ، حيث قال — بعد أن تحدث عن المجوس وفرقهم وأديانهم — : " ومنهم الخرمية أصحاب بابك الخرمي... وهم شر طوائفهم لا

(١) فروع تصاريف العقل والنقل ٤٠٣ / ٧ —

يقرون بصانع ولا معاد ولا نبوة ولا حلال ولا حرام <sup>(٢)</sup> .

ولعل أقدم كلام عن الدهرية ما قاله الجاحظ من " أنهم يتكبرون الخلق والنبوات والبعث والثواب والعقاب ويردون كل شيء إلى فعل الأتلاك ولا يعرفون غيراً ولا شراً سوى الله والمنفعة " <sup>(٣)</sup> (٤) .

فكيف يقال بعد هذا " أن الله ﷻ بعث الأنبياء — عليهم السلام — وأولهم إلى آخرهم يدعون العباد إلى البر لله ﷻ بالعبادة لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه " ؟

(٢) إجماع اللغويين من معانيه الشيطان ، ١١٦ / ٢ ، ط دار المعارف ١٤١٧ هـ — ١٩٩٧ م وتراجع مادة (دهرية) في الموسوعة الإسلامية العامة ص ٦٤٨ ، ط المجلس الأعلى للدراس الإسلامية — القاهرة ١٤٢٤ هـ — ٢٠٠٣ م .  
(٣) انظر كتاب الحيوان ٦ / ٥ — ٧ ، ط القاهرة ١٣٢٤ هـ — ١٩٠٦ م فلا من تعليقات د. ريدة على (تاريخ الفلسفة في الإسلام) لـ د. طه حسين ، ط (١) ص ١٢٩ — ١٣٠ ، ط دار النهضة العربية — بيروت بدون تاريخ .  
(٤) وعلى هذا القول الشيخ أبي بكر الجزائري لم يعرف الإلحاد بالتكبر الخلق عز وجل بل إنهم البشر قاطبة إلا في القرنين الثامن عشر والثاني عشر الميلاديين وبخاصة بعد ما ظهر المذهب الشيوعي [ عتبة القومن ص ٥٥ ] غير أنه بدلالة ، وما نقلته لا يدع لنا الرغم مكاناً .

الَّذِي مُوْجِبُ جُنْدٍ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٦﴾ أَمِنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٧﴾

يقول ابن كثير : يقول الله ﷻ للمشركين الذين عبدوا معه غيره يتفنون عندهم نصراً ورزقاً منكراً عليهم فيما اعتقدوه وخيراً لهم أنه لا يحصل لهم ما أملوه <sup>(١)</sup> .

ويذكر أيضاً أن المشركين يزعمون أن آلهتهم يشاركون الله فيهم ، يقول ﷻ : ﴿ وَمَا تَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

" فهذا تقريع لهم وتوبيخ على ما كانوا أخذوا في الدنيا من النداد والأصنام والأوثان ظانين أنها تنفعهم في معاشهم ومعادهم إن كان لهم معاد " <sup>(٣)</sup> .

ويصرح القرآن بأن المشركين قد اتخذوا هذه الآلهة لتكون لهم عزاً يعتزون

٦ - وأما الواقع الذي نعيشه ونشاهده ، فيشهد بوجود ملايين المنكرين لوجود الله ﷻ من الشيوعيين والملايين .

ثامناً : بطلان زعمهم أن المشركتين يعتقدون أن الأصنام لا تنفعهم ولا تضرهم .

وأما زعم المدرسة التيمية ( أن المشركين يعتقدون أن الأصنام لا تنفع ولا تضر ) فليس صحيحاً .

وكيف يكون صحيحاً ؟ والقرآن يحكي لنا — في وضوح تام — قول المشركين لبي الله هود : ﴿ إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَضْنَا عَنْكِ الْهَيْئَةُ بَشَرٌ ﴾ <sup>(١)</sup> .

فالآلهة في اعتقادهم تضر ، وهذا واضح في أنهم ينسبون الضر إلى غير الله ، كما يحكي القرآن الكريم أن المشركين يخوفون الرسول ﷺ ويوعدون به آلهتهم فيقول : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُدَّ وَخَوَّفُوكَ بِالَّذِينَ مِّنْ دُونِهِ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

ويذكر القرآن أن المشركين يعتقدون أن آلهتهم ينصرون ويرزقون فلنصغ إلى القرآن : ﴿ أَمِنْ هَذَا

(٢) سورة (الملك) ٢٠ - ٢١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤ / ٣٨٥ .

(٤) سورة (الأنعام) ٩٤ .

(٥) نفس المصدر ٢ / ١٥١ .

(١) سورة (هود) ٥٤ .

(٢) سورة (الزمر) ٣٦ .



بها ويستنصرونها فيقول : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾ (١) .

بل ويقدمون غيره عليه حتى في أصغر الأمور وأحقها : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٢) .

وأكثر من ذلك أنهم كانوا إذا ذكر الله وحده أشمازت قلوبهم : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (٣) .

فقلوب تنقبض وتفر إذا ذكر الله وحده ، وتفرح وتسرح إذا ذكر الذين من دونه ، هل يقال أنها تقر بتوحيد الربوبية ، وأنها لا تعبد الأصنام إلا لتقرهم من رب العالمين ؟

(١) سورة (مريم) (٢٠٨١) .

(٢) سورة (الأنعام) (١٣٦) .

(٣) سورة (الزمر) (٥٤٥) .

وفوق ذلك كله أنهم يسبون الله إن سب آلهتهم : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَمْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) .

فأين توحيدهم بعد هذا المصباح ؟

ويذكر القرآن أن اعتقادهم هذا في نصرة آلهتهم لهم ظل معهم إلى يوم القيامة ، فنقرأ فيه : ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ﴾ (٢) .

ويومئذ سيترفون بأنهم كانوا في ضلال مبين قائلين : ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٣) إِذْ تَسْوِيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤) .

وها هو ذا أبو سفيان يصرخ في غزوة أحد قائلاً : أعل هبل ، ليجي النبي ﷺ : " الله أعلى وأجل " .

وها هو ذا عمرو بن لُحي يسأل مشركي الشام : ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ فيقولون له : " هذه أصنام نعبدها ، فستمطرها فتمطرنا ،

(١) سورة (الأنعام) (١٠٨) .

(٢) سورة (القصص) (٦٤) .

(٣) سورة (الشعراء) (٩٧-٩٨) .

الوقت نفسه أن يقولوا إن الأصنام هي التي خلقت السموات والأرض !! فبقوا بين الاعتراف بالقول ... انقطاعاً ( وممارسة ما يخالفه ( واقعاً ) (١) .

وفي هذا يقول الدكتور عبد الله سبك : " والقول باعترافهم بأن الله رب كل شيء وخالقه لا يفهم منه الإقرار بربوبيته ، كما أن الاعتراف بأن محمد رسول الله لا يفهم منه أنهم آمنوا برسالة الله ﷻ يقول : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِبَايَتِ اللَّهِ يَتَّخِذُونَ ﴾ (٢) .

ثم إن كان اعترافهم هذا — يندرج تحت الرافق هو الله — اعترافاً حقيقياً ، وابن تيمية وتلاميذه يزعمون أن الألوهية هي العبادة ، والإله معناه : المعبود الحق ، والألوهية وصف الله ﷻ الدال عليه اسمه ﷻ : الله ، فالله : ذو الألوهية ... أى المعبود (٣) .

وأما الآيات التي تدل على أن المشركين كانوا مقرين بأن الخالق الرافق المدير هو الله ﷻ فقد أجاب عنها بعض العلماء بأنهم " إنما اعترفوا بها من باب (الإفحام والانقطاع) وليس من باب الاقتناع ، ولو كانوا صادقين في اعترافهم لنطقوا بالشهادتين ، وأتوا بلوازم هذا الاعتراف من العبادات الظاهرة ، فلذلك يأمر الله ﷻ أن يذكرهم بلوازم هذا الاعتراف ، كما في قوله ﷻ : " قل أفلا تتقون " [ سورة يونس ٣١ ] ...

أفلا تذكرون " [ سورة الأنعام ٨٠ ] الخ ... فكان الله ﷻ يوجههم بأنهم كاذبون ، وأنهم لا يؤمنون بالله ﷻ خالقاً ورازقاً ، كما لا يستطيعون في

(١) الملل والنحل ٢ / ٢٢٣ ، ومختصر سيرة ابن هشام ٥٨ / ١ — ٥٩ ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط ٨ ، القاهرة ١٤٢٥ هـ — ٢٠٠٥ م .

(٢) داعية وليس ليلاً للشيخ حسن فرحان المالكي ، ص ٣٩ — ٤٠ ، ط دار البرازي ط ١ — الأردن . ١٤٢٥ هـ — ٢٠٠٤ م ، ويلاحظ أن الشيخ المؤلف ينقل هذا الجواب لكنه يراه ضعيفاً .

(٣) سورة (الأنعام) (٣٣) .  
(٤) حقيقة التوحيد مقال لسبك بمجلة البيان ص ١٠ .  
(٥) " عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها أو ينقصها من الشرك " للدكتور صالح الفوزان ص ٣٢ بدون ذكر دار الطبع ، أو الناشر ، أو تاريخ الطبع .



فلم لم يفردوه بالعبادة ، وهم الأعراف بمدلولات لغتهم ؟ أليس من الأولى أن تكون الإجابة بأنه ( الرب العظيم ) أو ( رب العالمين ) بدلاً من الإجابة بلفظ يوقعهم في الحرج !! إذ هو اللفظ الأليق بالمعنى المراد — بحسب زعمهم — ألم يقل الجزائري — متابعاً الفكر التيمي — أن توحيد الربوبية معناه: نفي الشريك عنه ﷻ في صفات الربوبية الحققة والتي هي الخلق ، والرزق والملك ، والتدبير ...<sup>(١)</sup>

فيما تري هل أخطأ المشركون في هذه الإجابات ؟ ولم يعرفوا مدلولات لغتهم جيداً كما عرفتتها مدرسة ابن تيمية.

وعلى أية حال فإن هذه الآيات تتحدث عن صف من الكفار ، ولا شك أن هناك أصنافاً أخرى وردت بشأنها آيات أخرى تحدثنا عنها من قبل بشئ من التفصيل .

وابن تيمية وأتباعه يعرفون ما تقوله التنوية في الظلمة من أن هناك خالقاً آخر غير الله خلق بعض العالم<sup>(٢)</sup>.

(١) عقيدة المؤمن ص ٥٤ .

(٢) انظر شرح الطحاوية من ٢٠ - ٢١ ، وانظر الفرقان بين الحق والباطل ص ١٥٠ - ١٥١ ،

## عاشراً : الأمة الإسلامية له تحركه بالله ﷻ —

وأما دعواهم أن الأمة المحمدية قد أشركت بالله حين دعت غير الله أو استغاثت بسواه ( يقصدون ما يفعله العوام عند الأضرحة ) وأنه لا فرق بين شركهم وشرك أهل الجاهلية لأنهم كانوا يقولون ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾<sup>(٣)</sup> كحال مشركي اليوم .

فإننا نقول : لقد فات إخواننا السلفيين أن المشركين كانوا يفعلون أفعال العبادة بنية العبادة لغير الله تعالى كما صرحوا هم : " ما نعبدهم إلا .... " أما ما يفعله كثيراً من المسلمين من الدعاء والذبح والاستغاثة فلا يتون به عبادة غير الله ، ولا يتصورون أنها عبادة أصلاً .

فإن قيل فما الفرق بينها ؟ قلنا بينهما فرق شاسع ويتضح ذلك بضرب المثال التالي : هب أن إنساناً

حيث يتحدث ابن تيمية القلبية فيقول : " إنهم أنكروا أن يكون الله خالقاً لكل شئ ... وأنكروا أن يكون الله فعلاً لما يشاء ، وأثبتوا لغير الله الانفراد بالأحداث وشركاء وخلقوا الخلق ... وهؤلاء ضاهوا الجوس في الإشراك بربوبيته حيث جعلوا غيره خالقاً " .  
(٣) سورة الزمر ٥٠٣ .

ومن ثم يتضح لنا من كل هذا أمران .

١- أنهم لا يعرفون أن هذه الأعمال عبادة .

٢- ولا يتون بها العبادة<sup>(١)</sup> .

وعلى هذا فغاية ما يقال في الحكم عليهم أنهم أخطأوا ، وأظن أن الشقة بعيدة بين الخطأ والشرك .

أليس من الغرابة أن يقال بعد هد أن شركهم كشرك أهل الجاهلية " بل والأشد غرابة والأبعد مدى زعم ابن عبد الوهاب أن شرك عبادة الأوثان أخف من شرك أهل زماننا ( يقصد المسلمين ) ولا أدري كيف سولت له نفسه أن يقول هذا

(٢) ومن علماتنا من يرى أن العبادة في الشرع هي الخضوع والذل لمن يعتقد ربوبيته ، فإذا فعل المسلم أمراً بخضوع وتذل ولم يعتقد ربوبية الخاضوع له لم تكن عبادة شرعاً . ولو كان سجوداً ، فسجود الملائكة لأدم ليس عبادة له لأنهم لم يعتقدوا ربوبيته ، وسجود أخوة يوسف لأنهم لم يعتقدوا ربوبيته فهذه الأفعال التي أدخلها في مفهوم العبادة ليست منها . فليست شركاً . وليس فاعلها من المشركين طالما أنه مؤمن بأن الله وحده هو المعطى المانع الضار النافع .

[ عقيدتنا ، للدكتور ربيع جوهرى ، ١ / ١٤٧ ]

يصلي ويصوم ويحج ... ويفعل كل أنواع العبادة على الوجه الأتم لكنتك ما إن تسأله لماذا تفعل هذه الأمور إلا ويقول لك اعتدت على فعلها تقليداً لأبائي أو إخواني أو أصدقائي ... فتبعه بسؤال آخر — مستغرباً من هذه الإجابة — ألا تنوي بها عبادة الله ؟ فيقول : نعم لا أنوي بها شيئاً سوى أني تعودت على فعلها .

ونحن نتوجه بسؤال ثالث ، ولكن إلى إخواننا السلفيين هذه المرة : هل تعد أعمال هذا الرجل عبادة ؟

لا ريب أن الإجابة ستكون بالسلب لأن مدار الأعمال كلها تتوقف عند النية مصداقاً لقوله ﷻ : " إنما الأعمال بالنيات .... " (١) .

فإذا ما طبقنا هذا الكلام على كثير من إخواننا المسلمين في هذه الأزمان وسألناهم هل تنون بهذه الأعمال عبادة الأولياء والأنبياء من دون الرحمن ؟ قالوا بلهجة صادقة مفعمة بالإيمان : لا معاذ الله أن نعبد غير الرحيم الرحمن .

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب بدء الوحي ، وقول الله جل ذكره ( إنا أحينا إليكم .. )  
(٢) ٢ / ١ ط دار الشعب . وغيره .



الكلام ، ناسياً أو متناسياً أن عباد الأصنام :

- ١- صرحوا بعبادتهم .
- ٢- وانتظروا نفعهم وخافوا ضرهم .

٣- ورفضوا التوحيد قائلين : ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾<sup>(١)</sup> .

٤- ورفضوا نبوة محمد ﷺ واقموا به السحر والجنون .

٥- وأنكروا اليوم الآخر .

فكيف يستوي هؤلاء مع من يقول بلسانه وقلبه ليل نهار : لا إله إلا الله محمد رسول الله ... يرجوا رحمة الله ويخاف

عذابه .

وأخيراً ، وحدانية الله ﷻ .

صفة ملجأ لا إلهة - ١ -

ثم إنني لأعجب كل العجب من جعل ابن تيمية ومدرسته ( إثبات الأسماء والصفات ) أحد أركان مثلث التوحيد .

وهذا يعني أن من أثبت الأسماء والصفات التي وردت في القرآن والسنة ( وخاصة الخبرية ) فهو موحد وإلا فلا

... وهذا أمر في غاية الغرابة ، إذا جمع العلماء قبل الشيخ ابن تيمية على أن ( الوجدانية ) إنما هي صفة سلب بالنسبة لله ﷻ ، فهي تنفي التعدد في الذات والصفات والأفعال ...

وبتعبير المتكلمين : ( إنما تنفي كمواً خمسة ) فكيف انعكس الأمر عند ابن تيمية فأصبحت صفة السلب صفة إثبات ؟ نعم إن إثبات الأسماء والصفات لا يتنافى مع " الوجدانية " كما بين أهل السنة ، ولكن إثبات الوجدانية - في حد ذاته - لا يثبت الأسماء والصفات ، وإنما يثبتها أدلة أخرى<sup>(٢)</sup> .....

والله أعلم بالصواب .

والله أعلم بالصواب .

والله أعلم بالصواب .

والله أعلم بالصواب .

والله أعلم بالصواب .

والله أعلم بالصواب .

(١) هذا وسوف أخصص لهذه المسألة - بإذن الله تعالى - بحثاً مستقلاً .

## الخاتمة

وبعد هذا العرض الموسع - إلى حد ما - لموضوع تقسيم التوحيد عند مدرسة ابن تيمية والرد عليه بان واتضح لنا الأمور التالية :-

**أولاً :** أن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام ( توحيد ألوهية ، وتوحيد ربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات ) إنما هو شيء اخترعه ابن تيمية المتوفي في النصف الأول من القرن الثامن الهجري<sup>(١)</sup> ولم يرد عن أحد من السلف أو الخلف قبله .

**ثانياً :** أن هذا التقسيم غير صحيح :-

١- لأن خصائص ومعاني الربوبية والألوهية واحدة في القرآن ولغته العربية .

٢- لأن الأمم التي أرسل إليها الرسل لم يكونوا جميعاً يعترفون

بخالق العظيم ، بل كان بعضهم ينكر الصانع العظيم ، وبعضهم يدعي الربوبية أو بعض صفاتها ،

وبعضهم يقول بالهين اثنين ، وبعضهم يقول بالتثليث ....

والله أعلم بالصواب .

والله أعلم بالصواب .

(١) فقد توفي سنة ٧٢٨ هـ .

٣- ولأن القرآن نفى تعدد

"الأرباب" و "الآلهة" ورد

القائلين به مستخدماً للمصطلح

آيات كثيرة ... مؤكداً على أنه لو وجد آلهة أخرى غير الله ،

لكانوا خالقين مثله ... مما يترتب عليه فساد العالم .

٤- ولأن " الوجدانية " إنما هي صفة لنفي التعدد ، وليس لإثبات الصفات .

**ثالثاً :** أن من اعترف بالله ﷻ - وحده - خالقاً رازقاً مديراً يلزمه إفراد

الله ﷻ بكل أنواع العبادة ، لفائدة تعالي بالعبادة لازم عن

الرزق ... إلى غير ذلك من الأمور التي فصلناها خلال عرض هذا الموضوع .

والله أعلم بالصواب .

والله أعلم بالصواب .

والله أعلم بالصواب .

والله أعلم بالصواب .

والله أعلم بالصواب .



منشورات محمد علي بيضون ، ط ١

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

ح. مملك ( محمد الله ) -

٢١ - حقيقة التوحيد - مقال

نشر بمجلة التبيان التي تصدرها

الجمعية الشرعية بمصر ، العدد

الثالث، شوال ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

ح. الصليبي ( سيد محمد العزيز ) -

٢٢ - العقيدة السلفية بين الإمام

أحمد بن حنبل والإمام ابن تيمية ، دار

المنار ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٤١٦ هـ

١٩٩٥ م -

الخمسة -

٢٣ - الملل والنحل - تحقيق

محمد سيد الكيلاني ، ط دار صعب ،

بيروت ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

٢٤ - نهاية الأقدام في علم

الكلام - حرره وصححه الفرد جيوم .

ط مكتبة زهران .

السبعاني -

٢٥ - تطهير الاعتقاد من أدراج

الإلحاد ، تحقيق موفق الجبر ، ط دار

الحكمة ، ط ١ ، دمشق .

١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

أبو ريحة -

١٤ - ( تعليقات على ) تاريخ

الفلسفة في الإسلام لديور ، ط دار

النهضة العربية ، بيروت .

أحمد بن حنبل -

١٥ - الرد على الجهمية

والزنادقة ، مطبوع ضمن " شذرات

البلاتين " ، تحقيق محمد حامد الفقي ،

طبع أنصار السنة .

البيروني -

١٦ - تحقيق ما للهند من مقولة ،

ط الزخائر ، اصدار ديسمبر ٢٠٠٣ م .

جوهري ( محمد ربيع ) -

١٧ - " توحيد الربوبية

الالهوية " مقال لم ينشر بعد .

١٨ - " عقيدتنا " المجلد الأول ،

مطبعة الأوقاف ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ

٢٠٠٥ -

حسن فرخان -

١٩ - داعية وليس نبياً ، دار

الرازي ، ط ١ ، الأردن ، ١٤٢٥

هـ ت ٢٠٠٤ م .

الرمحوري -

٢٠ - تفسير الكشاف - ط

دار الكتب العلمية ، بيروت ،

ابن عبيد القاسم

٧ - كسب

١٤١٦ هـ -

ابن القيم -

٨ - إغاثة اللهفان من مصائد

السيطان ، ط دار المنار ، ط ١

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٩ - مدارج السالكين تحقيق

مد الشاوي ، دار المنار ، ط ١

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٣ م

ابن كثير

١٠ - تفسير القرآن العظيم -

ط المكتبة القيمة

ابن منظور -

١١ - لسان العرب - طعة دار

المعارف

ابن هشام -

١٢ - مختصر سيرة ابن هشام

مجلس الأعلى للشتون الإسلامية ، ط

القاهرة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م

أبو بكر الجزائري -

١٣ - عقيدة المؤمن - طعة دار

السلام

قائمة المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم ،

طبعة

دار الكتب العلماء

أبي العز

شرح العقيدة

الدكتور / عبد الرحمن

مكتبة المعارف بالربيع

بهيمة -

٢ - درء تعارض

فقيه الدكتور

١٩٧١ م

٣ - شرح العقيدة

عبد له الشيخ / حسين محمد

الكتب الإسلامية

٤ - الفرقان بين

الداخل، ط دار الطاعة

القاهرة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

٥ - مجموعة الفتاوى ، الجزء

١ - والثاني ، جمع وترتيب

سحدي ، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ

٦ - نقض المنطق

المسح / محمد حامد الفقي

أنصار السنة .



